مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

المعاملة الحسنة وأثرها في الاستقرار الأسري

شادية الصادق الحسن[1]* – أميمة محمد الحسن[2] – عواطف أحمد الإمام[3]

المستخلص

اهتم الإسلام بالأسرة ومشاكلها وعلاقاتها ، وقد غطت الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية وأبحاث الفقهاء المسلمين أدق تفاصيل العلاقات الأسرية، التي أراد بها الإسلام إنشاء مجتمعاً إنسانياً يقدس هذه العلاقة ويجعلها النواة الطبيعية للمجتمع القوي والسليم الذي تربط أفراده علاقات لا تنفصم ولا تؤثر فيها المتغيرات ولا تضعفها المصائب بل تزيدها قوة ومتانة، فهي الحصن الحصين الذي يضمن تماسكه واستقرار نسيجه الاجتماعي والثقافي. وتكمن مشكلة البحث في جهل الزوجين بالحقوق والواجبات أو تجاهلهما أمر له أثره الخطير في العلاقة الزوجية مما يؤدي إلى النزاع والكراهية وبالتالي عدم الاستقرارالأسري . ويهدف البحث إلى بيان أن من أهم عوامل قوة الترابط الأسري المعاملة الحسنة بين الزوجين، وقد تواترت النصوص الموجهة للرجل بحسن العشرة .و أن الاستقرار الأسري عبارة عن علاقة أسرية تقوم على التفاعل الدائم بين أفراد الأسرة جميعا. والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي التحليلي ، وخلص البحث إلى أهمية المعاملة الحسنة بين الزوجين وأن دور الرجل في استقرار الأسرة أكبر من دور المرأة كما أن فهم الرجل لطبيعة المرأة يقود إلى التعامل الأمثل ولكن غياب هذه المعاني الجليلة والتأسي بها يؤدي إلى كثير من المشاكل في الأسرة المسلمة المعاصرة.

ABSTRACT

Islam is concerned with family relations, problems and has covered the Koranic verses and hadith and Muslim scholars research the finer details of family relationships Islam, which sought to establish a society that sanctifies human relationship and makes it the kernel of the natural community Strong and healthy relationships that bind its members inseparable and do not affect the variables Calamities, but not weaken the strength and durability, the fort is the hippocampus, which guarantees the coherence and stability of the social fabric and cultural heritage. Among the most important factors of strength of the connections Treatment of domestic good between the couple, have been frequent texts against the man in good ten.The study found the following results:1 / the importance of fair treatment between spouses.2 / the role of men in family stability is greater than the role of women.3 / men's understanding of the nature of women leads to the best deal.4 / absence of these meanings, the venerable and torment led to many problems in the contemporary Muslim family.

الكلمات المفتاحية :

الخلية – غارة – استوصوا – أهله

[1]– قسم تزكية المجتمع– معهد العلوم والبحوث الإسلامية– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

2– قسم الثقافة الإسلامية– معهد العلوم والبحوث الإسلامية– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

3– قسم البحوث والدراسات الإسلامية– معهد العلوم والبحوث الإسلامية– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]

اهتم الإسلام بالأسرة أيما اهتمام، و فصل أحكامها تفصيلاً في القرآن والسنة، وأوجب على كل من الزوجين واجبات نحو الآخر، وجعل له حقوق مقابل ذلك . ومن ثم جعل الفضل بينهما من بعد ذلك ، ووضع تعاليم تضبط العلاقة بين جميع أفراد الأسرة ، فوضع حقوق وواجبات بين الآباء والأبناء ، وما كان هذا التفصيل والتأكيد على الواجبات والحقوق إلاّ لأهمية بناء الأسرة السعيدة التي تؤدي دورها المهم في تربية الرجال والنساء المؤهلين لأداء أدوارهم في الحياة وتحقيق خلافة الله في الأرض.

وقد جعل الله القوامة والولاية للرجل في قوله تعالى: " الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء "[2] وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مسؤولية الرجل تجاه الأسرة بقوله : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ،الإمام راع ومسؤول عن رعيته،والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته "[3] وكانت من آخر وصاياه ﷺ في حجة الوداع : " واستوصوا بالنساء خيرا " [4]

فكان من مهام الرجل رعاية وحماية أسرته وتوفير كل أسباب الحياة الكريمة لزوجه وأولاده. وتكمن مشكلة البحث في عدم تحمل كثير من الرجال المسئولية الواجبة عليهم وفق التوجيه الرباني ، نسبة لجهل بعضهم بها ، أو استهانة منهم بأثرها ، أو تهرباً من التكاليف ، مما زاد من خطورة هذا الأمر على الاستقرار الأسري وتوهين أواصر العلاقات خاصة في المجتمع المسلم المعاصر. ويهدف البحث لبيان أهمية الالتزام بأوامر الشرع في العلاقة الزوجية ، لتقليل المشاكل التي تقود إلى الشقاق والطلاق وتشتت الأسرة وضياع الأطفال. والمنهج المتبع للبحث هو المنهج الوصفي التحليلي .

الدراسات السابقة: الدراسات في جوانب الأسرة كثيرة ومتجددة ، والكتابة في موضوعاتها لا تتوقف، ولكن لم نجد كتاب واحد يشمل جميع عوامل الاستقرار الأسري بالطريقة التي سوف يطرحها البحث. ويمكن الوقوف على بعض مباحث هذا البحث في كتب التفسير والحديث والفقه الإسلامي ، وبعض الكتب الحديثة .

وخلص البحث إلى أن تقوية العلاقة بين الزوجين والالتزام بالأحكام الإسلامية يؤثر على الاستقرار الأسري ويقوي الأواصر بين أفرادها ممايعكس إيجاباً على استقرار المجتمع .

أولاً: الاهتمام بالأسرة بوصفها الخلية الأولى لبناء المجتمع :

الأسرة هي : عشيرة الرجل وأهل بيته[5] وهي الدرع الحصينة [6]، أي أن الرجل هو المسؤول عن أهله وعشيرته ويمثل درعاً لحمايتها من كل ما يتهددها من مخاطر مما يؤكد على دوره الكبير في استقرارها .

فالأسرة هي أساس وجود المجتمع ، فقد جبل الله تعالى الإنسان على العيش مجتمعاً بغيره فلا يستطيع أن يكون منفرداً، كما أثبت ذلك علماء الاجتماع. ونجد ذلك واضحاً في قصة خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام برغم وجوده في الجنة وتوفر كل أسباب رغد العيش استوحش فخلق الله له حواء ليسكن إليها. جاء في عمدة القارئ " أن الله تعالى لما أسكن آدم الجنة

---

[1]- سورة الروم: الآية (21)

[2]– سورة النساء: آيه (34).

[3]– البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري – صحيح البخاري– تحقيق د. مصطفى ديب البغا–ط3/ 1407هـ – 1987 م ، دار ابن كثير/ بيروت/ لبنان –حديث رقم (853).

[4]– المرجع السابق ، حديث رقم (4890).

[5] – ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت: 711هـ) ، لسان العرب /ط/ 3/ 1414 هـ / دار صادر – بيروت ، لبنان – (19/4).

[6]– الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين– القاموس المحيط ، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي– ط/ 8 / 1426– 2005م، مؤسسة الرسالة– بيروت، لبنان (1 /429)

أقام مدة فاستوحش فشكا إلى الله الوحدة فنام فرأى في منامه امرأة حسناء ثم انتبه فوجدها جالسة عنده فقال من أنت فقالت حواء خلقني الله لتسكن إلي وأسكن إليك" [7]

والأسرة في الإسلام تستمد تعاليمها وقيمها ومبادئها من القرآن الكريم والسنة النبوية، لغرس القيم الفاضلة في نفوس النشئ فإن شبوا على ذلك صعب تغييرها أو نزعها ، لذا نجد أن أعداء الإسلام وجهوا سهامهم نحو الأسرة وبهدم الأسرة يهدم المجتمع كله ويسهل السيطرة على المسلمين.يقول مسفر القحطاني : (وقد إزدادت شراسة هجومهم على الأسرة المسلمة بقدوم العولمة المعاصرة التي بدأت تغزو كل فرد بعينه، وتحقق غرض المستعمر من الهيمنة على مجتمعاتنا بتغيير الحقائق وهدم الثوابت، وربط الشعوب والأفراد بالأنموذج الغربي بكل سلبياته وأمراضه من خلال البث الفضائي، وشبكات الإتصال العالمية، والأسواق المفتوحة والاقتصاد الحر)[8] وحتى لا نقع في هذا الفخ يجب الرجوع إلى هدى الشريعة والتمسك بالضوابط التي وضعها الإسلام للمحافظة على التماسك الأسري.

واهتمام الإسلام ببناء الأسرة يقوم على أساس تحقيق مبادئ عظيمة، من أهمها :

1/ المودة والرحمة والمحبة. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [9] يقول الألوسي : (جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم تواداً وتراحماً من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم) [10]

وقد وصف الله تعالى العلاقة بين الزوجين وصفاً دقيقاً رقيقاً : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[11] واللباس يكون منه الستر والوقاية والزينة والتقارب اللصيق الذي لايكاد ينفك عن بعضه.

2/ العدل. كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [12]

وقد ثمن الله تعالى هذه العلاقة حتى أنه أطلق عليها (مِّيثَاقاً غَلِيظاً) [13] وجعل العلاقة بين أفراد الأسرة تقوم على المحبة والتآلف والتعاون، فكانت الوصية لكل فرد منهم . فقد أوصى الرجل بالمرأة في قوله تعالى : ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[14] وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (خيرُكم خيرُكم لأهلِه ،...)[15]. ، وأوصى المرأة في قوله ﷺ ﴿...والمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَمَسْئُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا،...﴾ [16]، كما أوصى الأولاد بوالديهم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي

---

[7] – العيني : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)– عمدة القاري شرح صحيح البخاري :دار إحياء التراث العربي / بيروت/ لبنان / ط/ 1421هـ – 2001م. (15 /212).

[8] – القحطاني : مسفر علي القحطاني ، حقوق المرأة في ظل المتغيرات المعاصرة ، موقع مكتبة صيد الفوائد /ط/ 2009 م، ص 2.

[9] – سورة الروم : آيه (21).

[10] الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) –روح المعاني /ط/1/1415 هدار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان (21/ 31).

[11] – سورة البقرة: آيه (87).

[12] – سورة لنحل: آيه (90).

[13] – سورة النساء: آيه(21).

[14] –سورة النساء: آيه (19).

[15] – الترمذي :محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ) ، سنن الترمذي– تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون/ط/ 1998 م –دار إحياء التراث العربي / بيروت/لبنان حديث رقم (3895).

[16] –صحيح البخاري : حديث رقم(853) ومسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): صحيح مسلم : تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي–ط/2/1421هـ / 2000 م /دار إحياء التراث العربي /بيروت / لبنان،. حديث رقم (1829)

عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [17]. فالعلاقة تقوم على ثوابت العقيدة وعلى الرحمة الإنسانية بين أفراد الأسرة التي بتحققها تكون الأسرة السعيدة المستقرة مما يؤدي إلى استقرار المجتمع.

ثانياً : تعريف الزواج وتوضيح أهميته والحقوق المشتركة بين الزوجين :

لقد وضع الله سبحانه وتعالى في الرجل والمرأة قوة دافعة، وقاهرة تجعل كلا منهما يميل نحو الآخر بوازع طبيعي لا محيد عنه. إذن فلا بدُّ من اللقاء بينهما ولا بدُّ من تنظيم هذا اللقاء بقواعد ثابتة لا تخضع لحكم الزمان والمكان. وذلك اللقاء لا بدُّ من أن يكون عن طريق رابطة تقوم على أساس الدوام والاستمرار، وتحمل الطرفين على قبول تحمل التبعات والآثار لتلك الرابطة الخالدة. فرابطة الزواج هي الطريق الوحيد لتكوين الأسرة.

ولمكانة الإنسان وتكريمه وتفضيله على كثير من خلقه سبحانه ، لم يترك المولى عز وجل الزواج دون ضوابط تضبطه ومبادئ تحفظ لهذا الإنسان مكانته وتميزه عن غيره من المخلوقات.

لقد اختلفت تعريفات الفقهاء للزواج ولكنها رغم اختلافها في الألفاظ لكنها تتفق في المعاني. فعقد الزواج عقد دائم ينشأ بموجبه حقوقاً مشتركة بين الزوجين وضحها الشرع في الكتاب والسنة والتي سوف تتضح بإذن الله من خلال هذا المحور، فالزواج كما عرفه الفقهاء لا يقتصر على حل إستمتاع كل من الزوجين بالآخر وبالصورة التي فرضها الشارع فقط بل نجد أن معناه أعمق من ذلك ، خاصة وأنه السبب الموجد للأسرة، فأفضل ما قيل في تعريف الزواج بأنه : "عقد ينشئ بين الرجل والمرأة على سبيل الدوام حقوقاً شرعية، تقوم على المودة والرحمة والمعروف والإحسان " [18] فهذا التعريف يحقق الهدف من هذه الدراسة إذ أنه بالمودة والرحمة والمعروف والإحسان ، أي المعاملة الحسنة وحسن العشرة بين الزوجين يكون دوام واستقرار الأسرة. والبعد عن كل ما قد يؤدي إلى تشتتها وضياعها ، بالإضافة إلى ذلك فإن الزواج "يوثق بين الناس الروابط الاجتماعية، ويوسع من دائرة الأسرة، فيزداد المجتمع قوة وتماسكاً، وتقل فيه من ثم عوامل التفرق والتنازع "[19] يقول تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً ﴾ [20]

أما عن الحقوق الزوجية، فهنالك حقوق تتعلق بالزوجة وأخرى بالزوج وثالثة مشتركة بينهما، وسوف يقتصر الحديث على بعض الحقوق خاصة تلك التي فقدها يسبب مشكلات تؤثر على الاستقرار الأسري .

أ : حقوق الزوجة :

1/ المهر : قال تعالى : ﴿وَآتُوا النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [21] وقال تعالى أيضاً : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [22] والنحلة أو الفريضة هي الهدية أو الهبة .

والصداق أو المهر واجب على الرجل وهذا الحق أثبته الشرع، وهو مما يباح شرعاً من المال، فلا يجوز اسقاط المهر ولكن يجوز للمرأة أن تسقطه عن زوجها بعد وجوبه لها سواء أسقطته كله أو بعضه، ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾ [23] ولم يحدد الشرع مقدار المهر فلا يوجد نص في الكتاب أو السنة يقدر حداً له ، يقول تعالى : ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ

---

[17] – سورة لقمان: آيه(14).

[18]– الدسوقي: محمد الدسوقي ، الأسرة في التشريع الإسلامي ، ط1/ 1416هـ – 1995م – دار الثقافة/ الدوحة / قطر/ ص 13.

[19] – المرجع السابق ص 15

[20]– سورة الفرقان : آيه(54)

[21]– سورة النساء: آيه (4).

[22]– سورة النساء: آيه (24)

[23] –سورة النساء: آيه (4)

مِنْهُ شَيْئاً ﴾ [24] ، وهذا ما جعل الفقهاء يتفقون على أنه لا حدّ لأكثره أو أقله، فالناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق، ولكل جهة عاداتها وتقاليدها، فترك التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته وحسب حالته، وعادات عشيرته، وكل النصوص جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط إلاّ أن يكون شيئاً له قيمة بقطع النظر عن القلة أو الكثرة، فيجوز أن يكون خاتماً من حديد، أو قدحاً من تمر، أو تعليماً لكتاب الله وما شابه ذلك، إذا تراضى عليه المتعاقدان[25]، ورد في الصحيح " أتَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إنَّهَا قدْ وهَبَتْ نَفْسَهَا لِلَّهِ ولِرَسولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ: مالي في النِّسَاءِ مِن حَاجَةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا، قَالَ: أعْطِهَا ثَوْبًا، قَالَ: لا أجِدُ، قَالَ: أعْطِهَا ولو خَاتَمًا مِن حَدِيدٍ، فَاعْتَلَّ له، فَقَالَ: ما معكَ مِنَ القُرْآنِ؟ قَالَ: كَذَا وكَذَا، قَالَ: فقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بما معكَ مِنَ القُرْآنِ."[26]

ووجوب المهر على الرجل بالتحديد يحدد مسؤولية الرجل تجاه المرأة. فبالمهر يعبر الرجل عن رغبته في المرأة وهذا يترك أثراً طيباً في نفس المرأة، فمهما كان مقدار المهر فإنه يشعرها بمدى محبة الرجل وتقديره لها.

2/ **النفقة والسكن والكسوة :**

قال تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [27] ، وقوله تعالى أيضاً : ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾[28]، فنفقة الزوجة واجبة على زوجها لما روى عن الرسول ﷺ أنه قال في حجة الوداع :(ولهنَّ عليكم رِزقُهنَّ وكِسوتُهنَّ بالمعروفِ) [29].ونفقة الزوجة تجب على الزوج حتى ولو كانت الزوجة غنية أو غير مسلمة ما دام يربط بينهما عقد زواج صحيح.

وتنازل المرأة عن مهرها وبطيب نفس منها يقوي أواصر المودة والرحمة بين الزوجين بل ويزيد من محبة الزوج لزوجته، أما النفقة أو عدم إنفاق الزوج على زوجته ففي كثير من الأحيان يكون سبب مباشر في المشكلات الأسرية.وهذا الأمر يعتبر من أكثر الأسباب المؤدية إلى الطلاق في مجتمعاتنا المعاصرة .

3/ **العدل في حالة التعدد** : يجب على الزوج إذا كانت له أكثر من زوجة أن يعدل بينهن وأولادهن في الانفاق والمعاملة وكذلك المبيت لقوله تعالى : ﴿ وإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً ﴾[30]، فإذا مال الرجل لإحدى الزوجات دون الأخرى بإستثناء الميل القلبي فإن هذا الأمر يقود إلى زرع البغضاء والتناحر والاختلاف بل هو أصل المشاكل التي تزعزع الاستقرار الأسري ، وينعكس هذا على الزوج نفسه، ويتعداه إلى الأولاد مما يؤثر سلباً على تكوينهم السوي إذ كثرة المشاكل تؤدي إلى عدم الراحة والاستقرار النفسي والعاطفي . إضافة إلى محاسبة المولى عز وجل له يوم القيامة ، " عن النبي ﷺ قال : " إذا كانَت عندَ الرَّجُلِ امرأتانِ ، فلم يعدِلْ بينَهُما ، جاءَ يومَ القيامةِ وشِقُّهُ ساقِطٌ" [31].

ب : حقوق الزوج :

1/ الطاعة : يجب على الزوجة أن تطيع زوجها في كل ما يأمرها به بإستثناء ما فيه معصية الله تعالى ،

---

[24] –سورة النساء : آيه (20)

[25] – الأسرة في التشريع الإسلامي " مرجع سابق، ص 139–141.

[26]– صحيح البخاري حديث برقم (5029)، ومسلم حديث برقم (1425)

[27]– سورة البقرة، آيه (233)

[28] – سورة الطلاق : آيه (7)

[29] – ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان – تحقيق : شعيب الأرنؤوط/ ط2/ 1414هـ – 1993 م، مؤسسة الرسالة / بيروت/ لبنان، حديث رقم (3944)

[30]– سورة النساء : آيه (3)

[31]– سنن الترمذي : حديث رقم (1141)

قال رسول الله ﷺ:"لاطاعةَ لمَخلوقٍ في مَعصيةِ الخالِقِ"[32].

ونجد أن الطاعة من أهم الطرق التي تؤدي إلى دوام المحبة والإلفة والاستقرار بين الزوجين، خلافاً لعدمها الذي يقود إلى الخلافات وأحياناً إلى الكراهية والشقاق بين الزوجين، وقد جاءت كثير من النصوص سواء من الكتاب أو السنة تحث الزوجة على طاعة زوجها وتصف المطيعة منهن بالصلاح كما في قوله تعالى :"فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ "[33] وقوله ﷺ : " إذا صلَّتِ المرأةُ خَمْسَها وصامتْ شهرَها وحصَّنتْ فرْجَها وأطاعت بعلَها دخَلتْ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شاءتْ " [34]، ويجب على الرجل عدم الاستبداد واعتداده برأيه بل أن يسبق ذلك الشورى التي جعلها الله تعالى أصل من أصول العلاقات الأسرية، يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾[35] وكما حث الإسلام المرأة على طاعة زوجها كذلك حذرها من عصيانه، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : (إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ منها عُنْقُودًا، ولو أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ منه ما بَقِيَتِ الدُّنْيَا، ورَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَكَ اليَومِ مَنْظَرًا قَطُّ، ورَأَيْت أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ قالوا: لِمَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: بكُفْرِهِنَّ قيلَ: يَكْفُرْنَ باللَّهِ؟ قالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحْسَانَ، لو أَحْسَنْتَ إلى إحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شيئًا، قالَتْ: ما رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ) [36] وذلك لعدم طاعتهن لأزواجهن.

2/ خروج الزوجة من بيتها بعد إذن زوجها :

للمرأة أن تستأذن زوجها عن الخروج لأنه قد يكون في حاجة إليها ولكن وليس له منعها من الخروج مطلقاً وقد استثنى الفقهاء – الوالدين وذوي الأرحام– في الزيارة والرعاية لأن هذا واجب لا ينبغي التقصير فيه. فليس على الزوج أن يحول بين زوجه وزيارة والديها وأرحامها، والاّ جاز لها أن تخرج دون إذنه للقيام بحق والديها، وإذا مرض أحد والديها، أو كلاهما مرضاً يحتاج فيه إلى من يقوم بشأنهما، وليس لهما غيرها. وجب على الزوجة أن تعتني بهما وإن كانا كافرين، سواء أرضى الزوج أم أبى، لأن حق الوالدين مقدم على حق الزوج عند التعارض [37].

3/ المحافظة على أموال الزوج :

فيجب على الزوجة أن تحافظ على أمول زوجها ويكون ذلك بالتوسط في الانفاق فلا إفراط ولا تفريط لأن المولى عز وجل نهى عن الشح والبخل وكذلك عن التبذير لقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ [38] ، وقوله تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[39] ولما بايَعَ النبيُّ ﷺ النساءَ قالَتِ امرأةٌ جَليلةٌ كأنها مِن نساءِ مُضَرَ: يا نبيَّ اللهِ، أَنَأْكُلُ على آبائِنا وأبنائِنا وأزواجِنا، فما يَحِلُّ لنا مِن أموالِهم؟ قال: الرُّطَبُ تأكُلْنَه وتَهْدِينَه) [40]

وكذلك يجب الاّ تثقل الزوجة كاهل زوجها بنفقات وطلبات لا يطيقها ولا يتحملها دخله، حتى لا تُسول له نفسه الكسب غير المشروع ، فضغط الحاجة مع

---

[32] – الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي – ط2/ 1404 – 1983 / مكتبة العلوم والحكم –، الموصل ، العراق / حديث رقم (381)

[33] – سورة النساء : آيه (34).

[34] صحيح ابن حبان : حديث برقم (4163).

[35] – سورة البقرة: آيه (233)

[36] –صحيح البخاري: حديث برقم (5197)، وصحيح مسلم . حديث رقم: (907) .

[37]– الأسرة في التشريع الإسلامي " مرجع سابق " ص 162

[38] – سورة الإسراء : آيه (29).

[39]– سورة الطلاق : آيه (7).

[40] – أبو داوود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني المحقق /عزت عبيد الدعاس : سنن أبي داوود /ط1/ 1389هـ/دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان – حديث رقم (1686).

النفوس الضعيفة قد يؤدي إلى الكسب الحرام " [41]، يقول الغزالى : إن من حقوق الزوج على زوجته ترك المطالبة بما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً " [42]

ج : الحقوق المشتركة بين الزوجين – وتتمثل في الآتي:

1- حسن العشرة.

2- حرمة المصاهرة.

3- التوارث.

4- استمتاع كل منهما بالآخر

فبموجب العقد الرابط بين الزوجين تنشأ أسباب تحريم مؤبدة أو مؤقته تحرم على كل من الزوجين التزوج بأصول أو فروع الطرف الآخر، وكذلك التوارث فعقد الزواج يوجب لكل منهما أن يرث الآخر حسب الحالة التي مات عليها كما بينها الشرع في الميراث... وأما حل استمتاع كل منها بالآخر فلا يكون هذا الحق مشروعاً إلا بعقد صحيح وماعدا ذلك يدخل في باب الزنا، وكما اتضح سابقاً من خلال التعريف أن كثير من تعريفات الفقهاء للزواج لاتخرج عن هذا الحق بل ويعتبر بعضهم أن هذا الحق من غايات الزواج الأساسية، ولكن ومن وجهة نظر أخرى فإن هذا الحق يكون مكملاً لتحقق المودة والرحمة والاستقرار النفسي لأن غاية الزواج الأساسية أعمق بكثير من هذا الحق، أو كما قال أحدهم أن هذا الحق ترجمة للمودة وحسن العشرة.

وإن حسن العشرة هو أيضاً الترجمة الواقعية للمودة والرحمة التي جعلها الله بين الرجل والمرأة وهو أيضاً التعبير الصادق عن الحقوق المتبادلة بين الزوجين " ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ " [43] ، فالزوجان مطالبان معاً بأن يحسن كل منهما إلى الآخر.

فيجب على كلا الزوجين أن يتصفا بحسن الخلق في تعاملهما مع بعضهما البعض، فالزوجة حسنة الخلق وحسنة العشرة تستطيع أن تكسب محبة زوجها وتقديره لها، وكذلك الزوج، فيجب أن يصحب هذا التعامل الرفق والبشاشة، والكلمة الحلوة ورعاية كل منهما للآخر، وتوفير الجو الأسري المناسب. وأيضاً من حسن العشرة أن يتجاوز كل من الزوجين عن الأخطاء التي تصدر عن الآخر، وكذلك من حسن خلق الزوجة أن تعمل على ترضية الزوج عند الغضب، إذا أخطأت في حقه وعليها أن تبادر بالإعتذار له وأيضاً يجب على الزوج أن يعمل على ترضيتها و الإعتذار لها[44].

ومن حسن العشرة أن يبادر كل من الزوجين على شكر صاحبه على صنيعه معه، ويلاحظ أن الرجل يسارع ويكثر من نقد المرأة ولومها عند أقل هفوة ولايبادر بشكرها إذا أحسنت مع أن الشكر وسيلة طيبة لزيادة المودة وتألف القلوب وترابطها بين الزوجين

وحسن العشرة ينعكس على حياة الأبناء، فيشبون أصحاء نفسياً وعاطفياً فالبيت الخالي من التنازع والتنافر يهيئ للأولاد الجو الصحيح للنمو السليم والتكوين السوي.

إن الحديث عن حسن العشرة يبين مدى أهمية المعاملة الحسنة، وكيف أنه إذا حافظ كل من الزوجين على حقوق الآخر تجاهه، والتزم بها فإن هذا يكون مدخلاً للمعاملة الحسنة إذ لا يجد أياً منهما بداً من معاملة الآخر معاملة حسنة حسب التزام الآخر بحقوقه تجاهه وإحترامه لهذه الحقوق. وهذا ما سوف نتناوله بإذنه تعالى من خلال المحور الرابع.

ثالثاً: التوجيه النبوي بالوصية خيراً بالنساء من خلال تعامله مع أزواجه ووجوب الاقتداء به:

---

41 – محمود: صلاح عبد الغني محمود: موسوعة المرأة المسلمة، الزواج والحياة الزوجية، ط1 /1998م الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة ج2 / ص 241

42 – الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) إحياء علوم الدين/ ط1/ 1432هـ/ دار المعرفة – بيروت، لبنان / 58/2

43 – سورة البقرة : آيه (228)

44– موسوعة المرأة المسلمة ، مرجع سابق ، ص 248–250

بالرجوع إلى سيرة الرسول ﷺ تظهر جلياً محبته صلى الله عليه وسلم للمرأة– الزوجة– وإعلانه ذلك وتقديره لمشاعرها ومسامحته له في أخطائها الناجمة عن غيرتها – التي هي جزء أصيل من شخصيتها– فصلى الله عليه وسلم يتحدث عن السيدة خديجة بأن الله قد رزقه حبها ،عن عائشةأم المؤمنين قالت : كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا ذبَح الشَّاةَ يقولُ : (اذهَبوا بذي إلى أصدقاءِ خديجةَ) قالت : فأغضَبْتُه يومًا فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (إنِّي رُزِقْتُ حُبَّها)[45] وكأنه يشكر الله سبحانه وتعالى على هذا الحب وقد جاء في الحديث عن عمرو بن العاص أنه قال :" قيل: يارسولَ اللهِ، مَن أحَبُّ النَّاسِ إليكَ؟ قال: عائشةُ، قيل: مِن الرِّجالِ؟ قال: أبوها."[46]. فحتى عند ذكر من أحب إليه من الرجال لم يذكره باسمه وإنما نسبه إليها.بل كان هذا الأمر متكرراً بينهما ، فأين هذا الخلق الرفيع في واقع حياتنا الأسرية التي تتسم بالجفاف ، فإن علاقة الحب كالنبتة تسقى بالكلمة الطيبة والتعبير عنه بالكلمات فإذا فقدت هذه العناصر جفت العلاقة بين الزوجين كماتجف النبتة بفقد الماء .

ولأهمية هذا الإعلان والإفصاح عن الحب بين الزوجين كان الترخيص فيه بالكذب. " عن أم كلثوم بنت عقبة قالت : "ما سمعتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يرخِّصُ في شيءٍ منَ الكذبِ إلَّا في ثلاثٍ : كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : لا أعدُّهُ كذَّابًا الرَّجلُ يصلحُ بينَ النَّاسِ، ويقولُ القولَ لا يريدُ بهِ إلَّا الإصلاحَ، والرَّجلُ يقولُ في الحربِ ، والرَّجلُ يحدِّثُ امرأتَه والمرأةُ تحدِّثُ زوجَها"[47]، وكان ﷺ يتفقد زوجاته بالليل والنهار مما يشعرهن بإهتمامه بهن ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : " كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدُورُ علَى نِسَائِهِ في السَّاعَةِ الوَاحِدَةِ، مِنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وهُنَّ إحْدَى عَشْرَةَ "[48] والاقتداء به ﷺ في هذا الموضع يؤكد ويزيد من الألفة والمحبة وقوة المودة بين الرجل وزوجته.

وكان ﷺ. لا يسافر إلاّ ومعه إحدى زوجاته. عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان إذا أرادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بين نِسائِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خرجَ سَهْمُها خرجَ بِها مَعَهُ" [49] مما يدل على أهمية صحبة الزوجة لزوجها في سفره.

كما كان ﷺ يستشير زوجاته ويعمل بمشورتهن في كثير من المواقف منها مشاورته للسيدة أم سلمة رضي الله عنها وعمل بمشورتها في قصة العمرة التي منع فيها أهل قريش المسلمين من دخول مكة واصطلحوا معهم على أن يأتو العام القادم جاء في الحديث " أرادهم النبي ﷺ في الكتاب أن يدعوه يدخل مكة فيقضي نسكه وينحر هديه بين ظهريهم فقالوا لا تحدث العرب أنك أخذتنا ضغطة أبدا ولكن ارجع عامك هذا فإذا كان قابل أذنا لك فاعتمرت وأقمت ثلاثا،فقام رسول الله ﷺ قال:" يا أيها الناسُ ! قوموا فانحَروا وأَحِلُّوا ، فو اللهِ ما قام رجلٌ لما دخل قلوبَ الناسِ مِنَ الشرِّ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : يا أيها الناسُ ! انحَروا وأَحِلُّوا فو اللهِ ما قام أحدٌ مِنَ الناسِ ، ثم قالها الثالثةَ فماقام أحدٌ مِنَ الناسِ ، فقام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فدخَل على أمِّ سلَمةَ ، فقال : يا أمَّ سلَمةَ ! أما تَرَيْن إلى الناسِ آمرُهم بالأمرِ لا يفعلونَه ؟ فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ! لا تلُمْهم ، فإنَّ الناسَ قد دخلهم أمرٌ عظيمٌ مما رأوك حملْتَ على نفسِك في الصُّلْحِ ، فاخرُجْ يا رسولَ اللهِ ! لا تكلِّمْ أحدًا مِنَ الناسِ حتى يأتيَ هديُك فتنحَرَ وتَحِلَّ ، فإنَّ الناسَ إذا رأوك فعَلتَ ذلك فعلوا كالذي فعلْتَ ، فخرج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ عندِها فلم يُكلِّمْ أحدًا حتى أتى هديَه ، فنحَر وحلَّق،

[45] – صحيح ابن حبان: حديث رقم (7006) .

[46] – سنن الترمذي : حديث رقم (3890) .

[47] – سنن أبو داود :حديث رقم (4921).

[48] –صحيح البخاري : حديث رقم (268)، وصحيح مسلم : حديث رقم :(309) .

[49] صحيح البخاري: حديث رقم (2593)، وصحيح مسلم: حديث رقم (2770) .

فلما رأى الناسُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد فعَل ذلك قاموا فنحَر مَنْ كان معه هديٌ ، وحلَّق بعضٌ وقصَّر بعضٌ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : اللهم اغفرْ للمُحَلِّقين ، فقيل : يا رسولَ اللهِ ! وللمُقصِّرين ؟ فذكرها ثلاثةً ، وقال في الثالثةِ : وللمُقصِّرين" [50].

وكان ﷺ يمازح زوجاته ويلاطفهن. قالت عائشة رضي الله عنها : أتيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لهُ فقلتُ لسَوْدَةَ والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بيني وبينَها فقلتُ لها كُلِي فأَبَتْ فقلتُ لتأكلَنَّ أو لأُلَطِخَنَّ وجهَكَ فأَبَتْ فوضعتْ يدي في الخَزِيرَةِ فطليتُ بها وجهَها فضحكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فوضعَ فَخِذَهُ لها وقال لسَوْدَةَ الْطُخِي وجهَها فلَطَخَتْ وجهي فضحكَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ..." [51] وإذا تأملنا الرجل المسلم في عصرنا نجده يلاطف ويمازح أصدقائه ، فإذا دخل بيته ظل متجهماً غاضباً يبتعد عنه أهله خوفاً من ثورته، ويبخل على أهله بالكلمة الطيبة التي تحببهم في لقائه .

رابعاً : بيان أهمية المعاملة الحسنة بين الزوجين وأثرها في الاستقرار الأسري :

المعاملة الحسنة لها الأثر الكبير في تقوية العلاقة بين الناس بل حتى فيمن كان بينهم عداوة، قال تعالى : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [52]، فكيف بين الزوجين الذي يراعي كل منهما حق الآخر، بل يجب ألا يطالب أحد بحقه إلاّ بعد أداء واجبه وتتأكد هذه المعاملة من قبل الرجل لأنه هو المعني بذلك في كل التوجيهات الربانية والنبوية وباستقراء النصوص نجد أن غالب النصوص في التوجيه بحسن المعاملة موجهة للرجال ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [53] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي)[54].

وقوله ﷺ: (واسْتَوْصُوا بالنِّساءِخَيْرًا،..)[55]، وهذا ليس لأن الرجل له القوامة فقط ، بل لأنه إذا قام الرجل بواجبه تجاه زوجته كاملاً، وعاملها معاملة حسنة فإن المرأة مهما كان بها من إعوجاج سوف تقابل هذه المعاملة الحسنة بالمثل ، لأن المرأة سريعة التأثر والاستجابة للكلمة الرقيقة لغلبة العاطفة عليها ، مما يؤكد دور الرجل الكبير في إصلاح شأن الأسرة واستقامتها واستقرارها وقوة تماسكها.

ومما له أثر كبير في حسن المعاملة بين الزوجين طاعة المرأة لزوجها ولكن يجب على الرجل أن يكون طلبه من المرأة بطريقة رفيقة رقيقة مما يدعو المرأة للاستجابة لطلبه بطيب نفس وحب ورغبة في فعل ما يريده بخلاف ما لو كان هذا الأمر بطريقة فظة(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِك } [56] لأن الطلب منها على طريقة الاستعلاء تشعرها بالذل والمهانة فإنها حتى ولو استجابت لأمره يكون عن إكراه وبغض مما يزيدهما بعدا عن بعضهما البعض، فالأمر أولاً وأخيراً بيد الرجل. عن عائشة رضي الله عنهاعن النبي ﷺ قال: " إنَّ الرِّفْق لايَكونُ

---

[50]– أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، مصنف أبي شيبة : تحقيق : كمال يوسف الحوت / ط1/1409هـ / مكتبة ابن الرشد – الرياض ، السعوديه / 7 /387

[51]– النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) سنن النسائي :تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة / ط/2 / 1406هـ – 1986 م /مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب/ سوريا / حديث رقم (8917).

[52]– سورة فصلت: آيه (34)

[53] – سورة النساء: آيه (19).

[54] – صحيح الترمذي : حديث رقم (3895).

[55] –صحيح البخاري : حديث رقم (5185، 5186)، وصحيح مسلم : حديث رقم (47، 1468)

[56] – سورة آل عمران: آيه (159)

في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ." [57]
ومن أوجه المعاملة الحسنة معرفة الرجل لطبيعة المرأة، وقد بين رسول الله ﷺ هذه الطبيعة مخاطباً الرجال مع التوصية بها خيراً " واسْتَوْصُوابالنِّساءِخَيْرًا، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا" [58]، والمقصود بيان طبيعة المرأة العاطفية، لأن العناية بالطفل تتطلب ذلك ، وليس في ذلك أي نقص من قدرها ، بل تنويه للرجل حتى لا يطلب منها أن تكون مثله لأن ذلك ينافي وظيفتها ، كما أن الضلع طبيعة وظيفته حماية القلب والصدر يتطلب إعوجاجه، فتشبيه المرأة بالضلع لتقريب المعنى، فالضلع إذا استقام لايؤدي مهمته ، وكذا المرأة إن كانت كالرجل لا تستطيع أداء مهمتها ، والتي في جوهرها تتعلق بالطفل الذي يحتاج إلى العطف واللين، والذي جعله الله في أصل خلق الأنثى ، كما يجب على الرجل مراعاة الغيرة الطبيعية عند المرأة.

فها هو ﷺ يسامح احدى زوجاته على ما بدر منها برغم حدوثه أمام ضيوفه فيتجاوز عن ذلك مراعاة لغيرتها. " عن حميد عن أنس قال : " كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فأرْسَلَتْ إحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمع النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الذي كانَ في الصَّحْفَةِ، ويقولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حتَّى أُتِيَ بصَحْفَةٍ مِن عِندِ الَّتي هو في بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إلى الَّتي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ في بَيْتِ الَّتي كَسَرَتْ.[59]

يقول د. راغب السرجاني[60] معلقاً على هذا الموقف بقوله " لقدأخذ رسول الله هذا الموقف ببساطة وجمع الطعام من على الأرض ، وقال لضيوفه كلوا وعلل غضب زوجته بالغيرة ولم ينس أن يرفع قدرها ، فقال : غارت أمكم " أي أم المؤمنين ! فأي رحمة هذه التي كانت في قلبه، ويجب على الرجل الا يمتدح أي إمرأة غير زوجته أمامها خاصة لو كانت زوجته الأخرى فإن ذلك يغضبها ويؤثر سلباً على حياتها مع زوجها ، فها هي السيدة عائشة رضي الله عنها – تغضب عند ذكر السيدة خديجة رضي الله عنها لدرجة استدراكها على النبي ﷺ بأن الله أبدله خيراً منها . عن عائشة قالت :" كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا ذكَرَ خَديجةَ أثْنى عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عزَّ وجلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني اللهُ عزَّ وجلَّ ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ."[61]ولكن النبي الحكيم الرحيم يبين لها سبب هذه الخيرية تصديقه ومواساته وزرقه الولد منها.

وما حدث من تظاهر السيدة عائشة والسيدة حفصة على الرسول ﷺ . كما جاء في الحديث عن عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يخبر أنه سمع عائشة رضي الله عنها تخبر"أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ، ويَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أنَا وحَفْصَةُ: أنَّ أيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَلْتَقُلْ: إنِّي أجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ علَى إحْدَاهُمَا، فَقالَتْ له ذلكَ، فَقالَ: لَا، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ، ولَنْ أعُودَ له فَنَزَلَتْ:

[57]– صحيح مسلم : حديث رقم: (2594)

[58] – سبق تخريجه

[59] – صحيح البخاري : حديث رقم (5225).

[60]– السرجاني : راغب السرجاني/ وخلق الإنسان ضعيفاً ، ط 1 /1422هـ – 2011م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة / ص 43

[61]– صحيح البخاري : حديث رقم (3821)، و صحيح مسلم حديث رقم :(2437)

﴿يا أيها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [62] – إلى – ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [63] لِعَائِشَةَ وحَفْصَةَ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النبيُّ إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾[64] لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا.[65] فنزل القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{1} قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{2} وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ{3} إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ{4} عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾[66] ، فكان التخويف بأن الله إن لم يتوبا قد يطلقهن ويبدله الله أزواجاً خيراً منهن، مما يدلل على صعوبة إحساس المرأة بأن زوجها يريد طلاقها أو الزواج بغيرها.

ومن هنا يجب على الرجل الَّا يذكر رغبته بالزواج بأخرى على سبيل المزاح ، لأن ذلك يمثل تهديداً كبيراً على استقرار الأسرة.

كما يجب عليه الاعتراف بفضلها وإظهار التقدير لما تقدمه من جهد لرعاية بيته وأولاده ، مما يخفف عنها التعب ويشعرها بالسعادة والراحة ، ويعطيها الطاقة لبذل المزيد، فالمرأة بطبيعتها حريصة على تماسك أسرتها ، ويظهر ذلك جلياً في قصة المجادلة، فبرغم حكم الرسول ﷺ – بأن الأمر طلاقاً ظلت تجادل حرصاً على أسرتها حتى نزل في شأنها قراناً. ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[67].

الخاتمة :

بعد استعراض مجموعة من صور معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته ودور كل من الرجل والمرأة في الاستقرار الأسري توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

1/ أهمية المعاملة الحسنة بين الزوجين .

2/ دور الرجل في استقرار الأسرة أكبر من دور المرأة.

3/ فهم الرجل لطبيعة المرأة يقود إلى التعامل الأمثل.

4/ غياب هذه المعاني الجليلة والتأسي بها يؤدي إلى كثير من المشاكل في الأسرة المسلمة المعاصرة.

التوصيات :

1/ معرفة الحقوق بين الزوجين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

2/ نشر ثقافة التعامل الأسري الأمثل الذي جاء به الإسلام.

3/ وجوب طاعة المرأة لزوجها بالمعروف وبطيب نفس.

4/ فهم الرجال أهمية دورهم من خلال تعاملهم الحسن مع زوجاتهم.

المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم**

1- البخاري : محمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري- صحيح البخاري- تحقيق د. مصطفى ديب البغا دار ابن كثير/اليمامة – بيروت/ الطبعة الثالثة، 1407هـ – 1987 م .

2- ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) ، لسان العرب / دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

[62]– سورة التحريم، الآية1.

[63] – سورة التحريم، الآية4.

[64]– سورة التحريم، الآية3

[65] – صحيح البخاري ، حديث رقم (5267) صحيح مسلم : حديث رقم (1474)

[66]– سورة المجادلة : الآيات :(1-5).

[67] –سورة المجادلة: الآية (1).

3- الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مجد الدين- القاموس المحيط ، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي- الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت – لبنان الطبعة: 8 / 1426 – 2005م.

4- العينى : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: 855هـ)- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : دار إحياء التراث العربي / بيروت / لبنان / ط/ 1421هـ – 2001م.

5- القحطاني : مسفر علي القحطاني ، حقوق المرأة في ظل المتغيرات المعاصرة ، موقع مكتبة صيد الفوائد /ط/ /2009 م

6- الألوسي : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ) -روح المعاني 'دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان /ط/1/1415 هـ .

7- الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ) ، سنن الترمذي- تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون- دار إحياء التراث العربي / بيروت/لبنان /ط/ 1998 م

8- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): صحيح مسلم : تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي-ط/2/1421هـ / 2000 م /دار إحياء التراث العربي /بيروت / لبنان.

9- الدسوقي: محمد الدسوقي ، الأسرة في التشريع الإسلامي ، ط1/ 1416هـ – 1995م – دار الثقافة/ الدوحة / قطر.

10- ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، صحيح ابن حبان – تحقيق : شعيب الأرنؤوط/ ط2/ 1414هـ – 1993 م، مؤسسة الرسالة / بيروت/ لبنان.

11- الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي -مكتبة العلوم والحكم – ط2/ 1404 – 1983 ، الموصل ، العراق .

12- أبو داوود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني / سنن أبي داوود / المحقق عزت عبيد الدعاس : ط1/1389هـ /دار الكتب العلمية – بيروت : لبنان .

13- محمود : صلاح عبد الغني محمود: موسوعة المرأة المسلمة ، الزواج والحياة الزوجية ،ط1 /1998م الدار المصرية اللبنانية/ القاهرة .

14- الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) إحياء علوم الدين: ط1/ 1432هـ/ دار المعرفة – بيروت ، لبنان.

15- أبي شيبة : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، مصنف أبي شيبة : تحقيق : كمال يوسف الحوت / ط1/1409هـ / مكتبة ابن الرشد – الرياض ، السعوديه.

16- النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) سنن النسائي : تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة / ط/2 / 1406هـ – 1986 م / مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب/ سوريا.

17- السرجاني : راغب السرجاني/ وخلق الإنسان ضعيفاً / ط 1 /1422هـ – 2011م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .